

أفقا مما حددها به البلاغيون فيما بعد ، فهي عند أبي عبيدة الطريق التي سلكها القرآن في التعبير عن المراد ، لا على مستوى الأسلوب فحسب ، بل على مستوى المفردات أيضا ، بحيث يبدو الكتاب في الجزء الأكبر منه تفسيرا للمعاني الكلمات المفردة . إلا أن أبا عبيدة أشار في تضاعيف هذا التفسير إلى بعض الظواهر البلاغية التي تداولها الدارسون بعد ذلك مقرونة بأمثلتها القرآنية التي نوه هو بها . من ذلك ما يعرف باسم إيجاز الحذف ، أو المجاز المرسل ذي العلاقة المحلية في قوله تعالى : « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » [يوسف : ٨٢] ، فقد قال عنها أبو عبيدة انها « من مجاز ما حذف فيه مضمير » أي أهل القرية ، ومن في العير^(٧) . وهذه الآية نفسها هي التي تتردد عند البلاغيين في الموضوع نفسه ، ومنه أيضا المجاز العقلي أو اللغوي - كما يسميه عبدالقاهر - الذي يتحقق بإسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الظاهر ؛ ومن صور هذا المجاز إسناد العلة إلى زمانه أو إلى المفعول به ، وقد تنبه إلى ذلك أبو عبيدة عند تفسيره لقوله تعالى : « والنهار مبصرا » من قوله : ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ [يونس / ٦٧] . فقد ذكر أن لهذا التعبير مجازين أحدهما أن العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل ، والمعنى : أنه مفعول ، لأنه ظرف يفعل فيه غيره ، لأن النهار لا يبصر ، ولكنه يبصر فيه الذي ينظر » ثم أشار إلى تعبير قرآني آخر يماثل هذا التعبير في طريقة أدائه وذلك قوله تعالى : ﴿ في عيشة راضية ﴾ وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها ، قال جرير :

لقد لُميتُ يا أم غيلان في السرى وثمتِ وما ليل المطىّ بنائم
والليل لا ينام ، وإنما ينام فيه ، وقال (رؤبة) :

فنام ليلي وتجلي همي^(٨)

ومن الظواهر البلاغية التي أشار إليها أبو عبيدة كذلك في كتابه ما شاع تسميته فيما بعد عند جمهور البلاغيين باسم « الالتفات » ، وقد عرض لصورتين من صورته : أولاهما ما جاء مخاطبته مخاطبة الشاهد ، ثم تركت وحولت مخاطبته

(٧) انظر : مجاز القرآن (تحقيق محمد قواد. سركين) ط ٢ ، ١٣٩٠/١٩٧٠ ، الخالجي) ج ١ ص ٨ .
(٨) مجاز القرآن ، ج ١ ص ٢٧٩ . ولم يذكر أبو عبيدة المجاز الآخر لهذا التعبير في كلام العرب . ولعل الطبري قد أفاد بما ذكره أبو عبيدة هنا عن إسناد الشيء إلى غير ما هو له في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة =